لقطة كاميرا

لقطة كاميرا

زكريا حجاج

رواية

تديق لغوي: محمود ربيع

تصميم الغلاف: محمود عبد الناصر

رقم الإيداع: 27992 /2022

I.S.B.N:978- 977-6854-93-2

الطبعة الأولى2023م

للنشر والتوزيع

الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر : د. رامي عبد الباقي

المدير التنفيذي : ثائر عزت

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

زكريا حجّاج

لقطة كاميرا

رواية

زين للنشر والتوزيع

المقدمة

تلك اللحظة التي يتوقّف فيها الزمن لترصد لقطة تظل تتأمّل فيها طيلة حياتك؛ لأن ما حدث بعدها لا تستطيع العودة..

الأمر ليس له علاقة بجودة اللقطة، بل بالتغيرات التي طرأت عليك، كأنه مجرى سِرْتَ فيه و أنت فاقد الوعي، أو غير مدرك لنهايته!

إهداء إلى

كل شخص يمتلك موهبة التصوير، لقطاتهم تؤرّخ سنوات وشهورًا وأيامًا وذكريات.

المشهد الأول

"عاجل...

نفوق عدد كبير من التوابيت على حافة النيل، وعندما تم فتحها وجدنا جثث فتيات ورجال مشوّهة، وجاري عمل التحاليل والفحوصات بالمعمل الجنائي".

خبر يتصدر الصحف والقنوات والبرامج الإخبارية على لسان رئيس المعمل الجنائي، واستكمل حديثه:

- ليست الأولى، مثل هذه الحادثة تكرّرَت كثيرًا بالعامين السابقين، وعندما يتم الفحص لا نجد دليلًا يقودنا لجريمة، لكن تكرار الأمر مثير للريبة، أظنّ أن علينا توسيع دائرة الشك.. لقد تم ندبنا من قبل النيابة وسيتم تكليف لجنة من أكفأ خبرائنا فقط للعمل على هذا الحادث، الحس القانوني يخبرنا أنّ هناك شيئًا مقلقًا.

***

تتحرك السيارة بأقصى سرعة ممكنة تحاول أن تتفادَى من يتبعها، تدخل من طريق وتفرّ من زقاق وتكسر إشارة مرور، لكن لا تستطيع الإفلات.

- ماذا ستفعل يا هاشم؟

تسأل ميار ذلك السؤال وهي تحتضن بنتها ومختبئة بالدواسة حتى لا يصابوا بالرصاص أثر المداهمة التي بدأَت منذ ساعة.

يجيب هاشم:

- لا أعرف، لكن الأمر مُربك، أريد أن أُوصِلَكِ لوالدتك أنتِ ولين، لأنّني تحت التهديد.

ميار والدموع تنهمر منها:

- لماذا أنتَ تحت التهديد؟

هاشم بعصبية مفرطة:

- أتعتقدين أنّ هذا وقتًا مناسبًا للأسئلة؟ دعيني أفكر كيف سأهرب من المجموعة التي تلاحقنا.

هذا آخر شيء أتذكره يا سيادة المقدم حسام، كيف جئتُ للمستشفى ومَن الذي ساعدني؟ و أين زوجتي وبنتي حتى هذه اللحظة؟! لا أعلم.

المقدم حسام:

- سنتركك لثلاثة أيام حتى تتعافى ونستكمل الأسئلة، لا تعتبره تحقيقًا يا هاشم، نحن نريد أن نساعدك، نعلم كَمَّ التهديدات التي تعرضتَ لها بعد التحقيق الصحفي الأخير.

هاشم وهو يعتدل على سرير المستشفى:

- حسنًا يا سيادة المقدم.. أريد فقط وقتًا لأتعافَى.

يخرج سيادة المقدم من الغرفة ويغلق الباب خلفه، ثم يمسك تليفونه ويقول:

- لا يوجد خيط نستطيع أن نبدأ منه هذه القضية.. الأمور في غاية التعقيد.

المشهد الثاني

– الشقة بالمواصفات التي طلبتها.. لن ترى ضوء الشمس في نهار يوليو وأغسطس.

قالها بواب العمارة لهاشم الذي تركه وسط الحديث ليعاين كل أرجاء الشقة.

– جيدة يا همام.. كما أريد وكما كانت مرسومة بعقلي.

– طريقة دفع الإيجاريا باشا ستكون كل أول شهر، أنا سأستلمُه من سيادتك وسأعطيه للمالك.

قالها همام وهو يحمل حقائب هاشم ويضعها داخل الشقة.

– موافق.. الآن سأذهب لشراء سرير وأريكة وكراسي وبعض المستلزمات.

***

– لا، لن أعود له يا ماما.

كانت كلمات ميار لوالدتها وهي منفعلة.

– زوجُكِ يمر بمشكلة، والأصول تفرِض علينا الوقوف بجانبه.

قالتها والدة ميار بنبرة أُمٍّ تحب الخير لبنتها حتى تستعطفها.

ميار بنبرة بها بكاء:

– ما أستطيع فعله هو أنني لم أطلب منه مصروفات تخص ابنته، سأتكلف أنا بكل شيء.

– يا حاج إسماعيل، نريد أن تشاركنا بر أيك.

بصوت عالٍ كان نداء والدة ميارلوالدها.

- لا أريد إجبارها على شيء يا زينب، ولا أعتقد أن هذا هو الوقت المناسب للحديث.

قالها الحاج إسماعيل وهو و اقف متكئٌ على العكاز دون أن يدخل غرفة بنته.

المشهد الثالث

على باب منزل خشبيّ متهالك يقف سيادة المقدم حسام، يدقُّ عليه ثلاث مرات ليفتح رجل عجوز جالس على كرسي متحرك أصلع، ويسأل:

- من أنت يا بني؟

حسام بنبرة مهذّبة:

- المقدم حسام من مديرية أمن الجيزة يا أستاذ عوض، صديق ابنك هاشم، أنا هنا إذا سمحتَ للدردشة مع سيادتك فقط، لا يوجد شيء أكثر أو أقل.

أستاذ عوض بنبرة بها الاشتياق:

- تفضل اجلس، سأُحضِر لك بعض العصير.

حسام وهو يربت على كتف أستاذ عوض:

- لا، لا.. أريد فقط الجلوس معك يا والدي، هل تتذكر آخر مرة رأيت هاشم؟

- بالتحديد لا، كان منذ عام وبضعة أشهر، قال لن أستطيع أن أزورك مجددًا يا بابا، لكن مصروفاتك ستظل تصل، وهذا ما حدث، سألته لماذا؟ أريد أن أعرف معلومة إضافية؛ فلم أتمكن.

قالها أستاذ عوض بنبرة ضعيفة.

فسأله حسام:

- أيُرسِلُ لك الفلوس بانتظام؟

أستاذ عوض بنبرته الهادئة:

- لم ينقطع شهر واحد.

بنبرة مَن يعلم سأل حسام:

- ماذا كُنتَ تعمل قبل تقاعدك يا بابا؟

- معلم يا ولدي.. معلم فيزياء، أهناك مكروه أصاب هاشم؟

حسام سريعًا دون تردد:

- لا مطلقًا، لكن حتى لا أكون كاذبًا تعاركنا منذ شهرين وقلَّ الحديث بيننا، وأريد أن أعتذر له لأنني أخطأتُ بحقه، أين ماما؟

أستاذ عوض:

- نائمة.. أدوية الزهايمر تجعلها تنام كثيرًا، لا تقلق باعتذارك؛ سيتقبّلُه، هاشم طيب يسامح سريعًا.

حسام وهو يقف:

- لأنه تربية أستاذ عوض والحاجة فاطمة.

المشهد الرابع

– كل ما يقال يقودك لشيء جديد، أو تساؤل آخر، أو نقطة مختلفة! لا يوجد شيء كامل أستطيع أن أبدأ منه.

قالها هاشم لنفسه وأمامه صور وورق وقصاصات كثيرة، كل واحدة مكتوب عليها معلومة مختلفة، أمسك بورقتين.. الأولى مكتوب عليها سمير كمال، والثانية هند يُسري، إذا كانت أسماؤهم الحقيقية فالبداية منهما، هما مربط الفرس.

****

– ذلك اليوم الذي تغير كل شيء فيه، كانت صدفة، كيف لصدفة تُحدِث تغييرًا كاملًا بروتين حياتك؟!

– كل ما حدث أنني قررتُ السير وراء فضولي الصحفي، كل صحفي يمتلك فضولًا يحرّكه في كثير من الأحيان يُصيب..

هذه المرة كانت رمية بثلاث نقاط عندما سرت وراء الأدلة التي أمتلكها؛ لأكتشف شبكة كاملة تروّج للمثليّة مختبئة خلف جمعية خيرية تَدعو بخير وللخير.. كيف تصطاد شبابها سواء ذكور أو إناث؟ كيف تتم اللقاءات؟ ما هي الأهداف الخفية؟ من يمولها، من يديرها، كيف تدار؟

كل هذه الأسئلة يجب إجابتها قبل تقديم بلاغ للنيابة لتباشر التحقيق، وتقبض على المجرم.

بدأ كل شيء عندما كثُرَت الندوات الصحفية والحفلات واللقاءات التي تنظّمها تلك الجمعية.. تشعر أن هناك أمرًا ما داخل الأمر، هناك شيء خفيّ.. شيء بالداخل يجب أن تُزِيل القشرة التي عليه..

من أين يحصلون على الأموال حتى يصرفوها على الحفلات، ولماذا هذا العدد من الحفلات مع أعمال مفترض أنّها خيرية؟ هل نبدأ البحث من الفنادق التي تُقام فيه الحفلات؟ أم من المقر المُعلَن الذي يجتمعون فيه؟ أم من الأشخاص الذين يتولّون إدارتها؟ ما هي التهمة أو المغزَى الذي سأقابلهم به؛ لأنهم يفعلون كثيرًا من الخير؟! الأمر مثير للقلق.

هناك شبكة للفتيات وأخرى للشباب، وأخرَى للرجال كبار السن والسيدات اللائي تخطين الخمسين عام، كل شبكة مستقلة بذاتها.. هذه ليست معلومة، إنما توقّعٌ وتحليل.

كل هذا لم أتمكّن من الوصول له لولا ماري منير..

المشهد الخامس

بغرفة واسعة إضاؤتها خافتة يجلس ثلاثة رجال وسيدتان على مائدة أمام كل واحد منهم اسمه وكأس من النبيذ.

- الأعين أصبحَت كثيرة علينا، يجب أن نحتاط هذه الفترة.

قالها رجل ممتلئ قليلًا يجلس على رأس المائدة، أمامه قطعة خشبية مكتوب عليها حاتم السعيد.

- نعم، ما فعله ذلك المصور الصحفي فتح كل العيون علينا.

قالتها سيدة بيضاء البشرة، جسدها متناسق، شعرُها أقرب للبني الغامق، ترتدي ثوبًا أسمر ضيّقًا يُظهر نهديها تُدعَى سيرين داوود.

- المشكلة ليست بعيون المجتمع، بل بعيون الدولة التي ستفتش في أية ورقة.

قالها رجل رفيع يبدو أنه فوق السبعين عام، لكن لا يتوقف عن شرب النبيذ يُدعَى غالي عمر.

- ما الحل المقترح؟

قالتها سيدة تبدو بمقتبل عُمرها، لكن ترتدي حُليًّا من الماس على عنقها ويدها تدعى ليليان علاء.

- علينا أن نجتمع سريعًا بقيادات الدوائر بمكان جديد بعيد عن الشبهات.

قالها حاتم، ثم أشار لمحسن العباس الذي لم يتفوّه منذ بداية الحديث.

محسن وهو يتلعثم:

- أنا؟! لماذا؟!

سيرين وهي تنفث عن دخان السيجار:

- أنت أكثر شخص بعيد عن الشبهات.. شريك بنادي رياضيّ شهير وقناة تلفزيونية، أحد المموّلين لأكبر مهرجانات السينما والدراما.

غالي وهو يسعل:

- أتفق مع سيرين.

المشهد السادس

بعمارة بالتجمع الخامس بالمبنى الأول مكتوب عليه (لتصوير موديلات الإعلانات).. تجلس فتاة بعد أن تدخل من الباب بثلاث خطوات تستقبل الوافدين، يقف شاب مفتول العضلات يلبس قميصًا أبيض مفتوحًا حتى يظهر صدره، وبنطال جينز ممزق يُدلِي ببياناته حتى يحدّدُوا ما الإعلان المناسب له، وكذلك للفتيات بالمكتب الذي يليه.

يدخل ذلك الشاب لغرفة التصوير ليجد شابًا وفتاة خلف الكاميرا، تقدّمَت فتاة رفيعة القوام كالفرنسيات، بيضاء البشرة وشعرها خصلاته ممزوجة بين الذهبيّ والبني كشعاع الشمس بيوم ربيعيّ معتدل حتى تضبط ملبسه وهيئته.

- معك هند، فوتوجر افرواستايلست.. ما اسمك؟

ببعض التلعثم أجاب:

- سامح.. سامح جوهر.. طالب برابعة هندسة اتصالات الجامعة الأمريكية.

- لماذا أشتمّ رائحة التردد والخوف في حركة جسمك؟

هند وهي تقترب منه كأنها تحتك بجسده.

- لا لا لا.. فقط هيبة كل ما هو جديد.

سامح وقطرات العرق تهطل منه.

- سأبدأ التصوير.

قالها الشاب متوسط الطول لكن متناسق العضلات، شعره أسمر، عيونه بنيّة، بشرته قمحية اللون، ذقنُه كثيفة بها بعض الخصلات البيضاء، الذي يقف وراء الكاميرا.

– أُدعَى سمير.. فوتوجرافر مثل هند، لكن مهندس ديكور من الجامعة الألمانية، أي أنّنا زملاء مجال يا سامح.

سامح بعد أن تنفّس بعمق والْتقَطَ سميرله عددًا من الصور:

– أشعرأنّنا سنكون أصدقاء.

هند:

– سآخذ رقمك وسنتواصل معك؛ لأن جسمك مناسب للإعلانات.

سامح وهو يبتسم:

– سأنتظر.

يخرج سامح وتدخل فتاة عيونها خضراء وشعرها لون سنابل القمح، ترتدي جيب قصيرللركبة وقميص ضيّق يبرزمفاتنها، لتقف أمام الكاميرا وتبدأ بتعريف نفسها بكل ثقة:

– أُدعَى ماري محمد، حاصلة على ماجستير إدارة اعمال من جامعة خاصة، عمري سبعة وعشرون عام، طموحي التمثيل؛ لذلك رأيتُ أن هذا المكان قد يكون البداية المُثلَى.

هند بابتسامة:

– اختيارمثالي.

المشهد السابع

أمام تمثال السيدة مريم العذراء يجلس شاب ممتلئ قليلًا، أسمر البشرة والشعر، متّكئٌ على ركبته بعد أن أوقد شمعة، يتحدث بصوت منخفض:

– اللهم اغفر لي أنا الخاطئ؛ لأنّني لا أستطيع أن أرفع عيني إليك؛ لأني أُخزَى من كثرة آثامي، اللهم لا تحسِب عليّ آثامي، بل اصنع معي رحمة في ملكوتك، اللهم إني أتضرّع إليك وأسألك من أجل نفسي وجسدي البائسَيْن.

بدأت دموعه تسيل على خدوده وهو يستكمل صلاته:

– أعطني أن أصنَع إرادتك، ولترشدني رحمتك، أيها الرب الإله اغفِرْ لي خطاياي واستُر على آثامي، نجّني من غضبك ورجزك، أسألُك يا رب.. ماذا أقول حين مثُولي بين يديك، وبمَ أتزكّى حين تحاكمني؟ يا يسوع المسيح دبّرني واسترني من أهوال لجة الشيطان، ضع سلامَكَ واسمك القدوس عليّ أيها الرب الساكن في السموات، لتدركني رحمتك وتسترني، أتوسّل إليك لا تُسلّمني بيدِ العدو، إني ألقيتُ كل اهتمامي عليك أيها المسيح ابن الله؛ فلا تتركني عنك، إذا مِلتُ إلى الشر لا تتركني ولا تدعني أسير حسب شهواتي الرديئة، لا تَدْع تبكيتي ليوم دَينُونتك العظيم، لا تقْضِ عليّ كاستحقاق خطاياي، استر فضيحة عُريي أمام منبرك المرهوب، طهّرني كي لا يوجد دنسٌ في نفسي بين يديك، ثبِّت كلماتك المقدسة في قلبي ونفسي، نجِّني من جميع فخاخ الشرير، دبِّر سيرتي كما يرضيك، تراءَف عليّ واسمع صراخي، استجِبْ لتضرعي و اقْبَل صلاتي، لا تَبْعِد صلاتي منك ولا رحمتك عنّي، فلتدخل صلاتي أمامك، أنصِت

لصوتي وليدخل إليك صراخي، لتستقِم صلاتي أمامك كرائحة بخور طيبة بين يديك.

بعد أن انتهى وبدأ ينهض ليوقد شمعة أخرى وجدَ أحد الآباء يقف وراءه، فيلتقطه كمن يلتقط قطة بالشارع في ليلة قارصة البرودة ويحتضنه؛ فينهار بالبكاء.

– معك بابا صمائويل، ما اسمك يا ولدي؟

قالها رجل يبدو أنه في أواخر مرحلة الشباب.

– أُدعَى عماد يا بابا.

قالها وهو يمسح بالمنديل دموعَه.

بابا صمائويل بنبرة عطوفة:

– أنا لا أعلم الذنب الذي اقترفته، لكن أرى توبة سيتقبلها الله؛ لأنك تُصلّي كمن يصلي ويعلم أن نهايته غدًا.

عماد بنبرة بها خوف:

– أتمنى أن يأتي اليوم الذي أستطيع أن أحكي فيه قبل انكسار قلبي من ذلك الهم.

بابا صمائويل وهو يحتضنه:

– أنا سأنتظرك مهما طال الوقت.

يخرج عماد من الكنيسة ليجد صديقه ينتظره جالسًا على أحد الأرصفة، ليقول بصوتٍ عالٍ:

– لماذا لم تدخل يا إسماعيل لتنال قسْطًا من الراحة؟

إسماعيل وهو يتنهد:

– الرهبة اجتاحتني، أتعلم يا عماد.. أشعر أن دينكم يقبل التوبة بطريقة تجعلُكَ لا تخشى مواجهة الله.

عماد بعد أن أخرج قطعة مخبوزات و اقتسمها مع إسماعيل:

– يجب أن تأكل؛ لأن جسدك صار هزيلًا، أنا لا أعلم ما هي قواعد أو شروط التوبة بالإسلام، لكن متيقن أن الرب رحيم رؤوف يسمع كل من يلجأ إليه، هناك رجال دين تجعل الدين سهلًا جميلًا، وهناك من يجعلك نافرًا، ابحث عن هؤلاء الذين يضعُونك على طريق بدايته لين، العيب ليس بالدين، بل بهؤلاء الذين يتحدّثون باسمه.

المشهد الثامن

- يُخلَى سبيل المتهم لعدم كفاية الأدلة.

قالها المقدم حسام وأمرَ من يُدوّن التحقيقات بكتابة التاريخ ثم الإمضاء عليها من قِبَل سيدة الأعمال هيام العسقلاني.

هيام وهي تقف:

- أتمنى من سيادتكم عدم تشويه سمعتنا؛ لأن هذا هو رأس مالنا.

رمقها حسام بنظرة ولم يتحدث.

حسام بمكتبه بعد أن خرجَت وهو لا يتوقّف عن الحركة:

- علينا أن نجعل هاشم يتعاون معنا يا زهري، إذ ظلَلْنا هكذا كلانا لن يصِلَ لشيء.

زهري وهو ينفث دخان سيجار:

- لن يتعاون معنا؛ لأنه يعلم إذا أدخلنا حياة عائلتِه كلها ستكون على المقصلة.

حسام بغضب:

- هذا دورُنا.. حمايته وحماية أسرته.

زهري:

- هو مدركٌ أن أيديهم طويلة، تصل لما يريدون عندما يريدون.

حسام بعد أن جلس على كرسي المكتب:

- تلك القضية يجب أن تُحل، ذلك الأمر يهدّد الأمن القومي.

***

هيام وهي بالسيارة تأمُر مساعدها بإجراء اتصال، وفورَ أن يجيب قالت:

- أبلغ كل شركائنا باجتماع قريب ومُهِمّ.

المشهد التاسع

يخرج حسام من سيارته ويفتح الباب الخلفي، ليمسك بعلب الحلويات ويأمُر البواب أن يساعده؛ فيذهب له مسرعًا ليحمل معه ويضع المشتريات بالمصعد.

- يا سيادة المقدم، هناك شخص أحضر إليك ذلك الطرد وأخبرني أن أسلّمَه لك، ليس لزوجتك أو أحد أقاربك.

قالها عم ياسر بصوته البدوي.

يمسك حسام الطرد ويجد مكتوبًا عليه من الخارج "كل سنة وملاذ بخير (هشام)"، فيعقد حاجبه ويشكر عم ياسر، ويخبره ألّا ينسى بالمجيء له بعد انتهاء عيد ميلاد بنته.

يصعد حسام مع الحلويات والطرد بالمصعد، فيجد زوجته ومن تساعِدُهم بالبيت السيدة رودي أمامه فور أن فتح الباب ليحملوا معه العلب.

تأتي ملاذ مسرعة لحضن والدها، تقبّلُه وتشكره على الحلويات؛ فيحملها على كتفه ويقول لها:

- كل عام و أنتِ بخير يا ملاذ، سيكون عيد ميلاد مميّزًا، متى سيصل أخوالك وأعمامك؟

ملاذ بصوتها البريء:

- ماما أخبرتني أنهم سيصلون على تمام الساعة التاسعة.

حسام يضع بنته على الأرض ويقول لها:

- اذهبي للمطبخ حتى ترَي كل الذي اشتريتُه، و أنا سأستريح قليلًا.

يدخل حسام لمكتبه ويغلق الباب عليه، ثم يمسك مفتاح منزله ليفتح الطرد به؛ ليجد عددً من الصوروالورق.

- تلك لقطة الكاميرا التي منذ أن التقَطتُها وصارَت مصدر تهديد لهم.

كانت كلمات مكتوبة على صورة رسالة إيميل باسم جمعية الخير للخير، لكن محتواها عن كيفية تسهيل لقاءات لإقامة علاقات غير شرعية.

ثم استكمل حسام النظرفيما داخل الصندوق..

الصورة الأولى التي أمسكها مكتوب عليها "إسماعيل طه، عماد ماهر، الأول بدون مهنة، الثاني كان لاعب ملاكمة وبطلًا أولمبيًّا".

الصورة الثانية مكتوب عليها "هند يسري، سمير كمال، كلاهما فوتوجر افر واستايلست، وشركاء في بعض المشاريع مع كبار رجال الأعمال".

الصورة الثالثة مكتوب عليها "ماري محمد وحاليا اسم شهرتها بعد أن أصبحت ممثةه مشهورة ماري منير".

الصورة الر ابعة "سامح جوهر مغني مشهور".

الصورة الخامسة "هاني العقبي – عادل صديق (أذرع رجال الأعمال اليمين واليسار)"

الصورة السادسة "مجموعة من رجال الأعمال: غالي عمر – حاتم السعيد – محسن العباس – سيرين علاء – ليليان داوود".

ثم رسالة..

- أنا هاشم، أرسل إليك تلك الصور وملفًّا كاملًا من المعلومات عن جمعية الخير للخير التي تُستَخدم كستار لأعمال غير مشروعه تُدِين تلك الشبكة؛ فعلينا أن نعمل معًا دون أن نتقابل، لكن إذا تم تهديدك بشكل أو بآخر سنلجأ للخطة الثانية وهي...

المشهد العاشر

يفتح حسام باب السيارة وهو يقول:

– هيا يا زهري كي أوصلك لمنزلك.

زهري:

– شكرًا يا صديقي، أريد أن أشتري بعض الطلبات للمنزل.

حسام وهو يخرج رأسه من شباك السيارة:

– هيا.. وسنقف عند أي محل تريد شراء متطلباتك منه.

استجاب زهري لصديقه وجلس بجواره، وبعد أن تحرّكا بالسيارة وجدا أنفسهما في مطاردة تنتهي بأن سيارة دفع رباعي تُغلِق الطريق عليهما، ويُخرِجُ أحدُ الملثّمين يده بالمسدس ويطلق طلقاته على كتف حسام، ويخبره بصوت عالٍ وسيارته ترحل:

– اترك تلك القضية، هذا أفضل لك.

زهري يحرك صديقه للكرسي الذي كان عليه؛ ليقود هو لأقرب مشفى، ثم يحمله ويبحث عن طبيب ليخرج الرصاصة من كتف حسام.

– اقرأ الجرائد.. اقرأ الجرائد.. اقرأ بالبونت العريض.. هروب الصحفي هاشم عوض لفرنسا بعد فضيحته الجنسية مع أحد الصحفيات تحت التدريب.

قالها أحد البائعين بمحطة القطار؛ فيطلب منه أحد منتظري القطار نسخة ليقرأ.

- مستحيل، مستحيل، الجميع كان يتحدث عن أنه سيفضح رجل أعمال شهير.

ليجد رجلًا كبيرًا بجانبه يقول:

- لا تهتم؛ فهناك أمورعلينا ألّا نفكر كيف تحدث.

المشهد الحادي عشر

– هذا ليس تحقيقًا يا عماد؛ فليس هناك أدلة قاطعة، تستطيع أن تعتبر ذلك عرض، نُريد منك أن تساعدنا مقابل ضمان إذا جاء اسمُك كمتّهم بالتحقيقات أعدُكَ بأقل عقوبة ممكنة بقانون العقوبات.

قال حسام تلك الكلمات لعماد وصمت ينتظر رده.

– إذا كان هناك عقوبة حتى لو كانت قليلة أو الحد الأدنى منها فما الفائدة؟

أجاب عماد بنبرة تساؤل.

حسام:

– لا يوجد فائدة؛ لأنك خسرت كل شيء، أنت الآن قسيس بأحد الكنائس هاربًا من ماضٍ أليم، خسرتَ مهنتك كملاكم، وشعبيّتَك كبطل أولمبيّ بعد أن كنت تُحمَل على الأكتاف، أصبحتَ عندما يسمع أحد اسمك يعقبُه مطّ شفاه وحسرة وندم ممزوج بالعار، ودعوات ألا يسير أبناؤنا بطريقك، افعل ذلك وقد تتحسّن صورتك أمام الناس.

عماد وهو يحرك رأسه:

– سأقول ما أعرفه، أنت تحدد هل هذا يساعدك أم لا؟

حسام وهو يحتسي بعض رشفات الشاي:

– كلّي آذان صاغية.

– لا أستطيع أن أضع يدي على البداية، لكن يمكن القول هم الذين بحثوا عن ضحاياهم إذا صح وصف أنفسنا بالضحايا، بمعسكرات المنتخب كان يتردد علينا أشخاص كثيرة ذو مناصب.. منهم الرعاة أو

قيادات بوزارة الرياضة أو اللجنة الأولمبية، لكن من كان قريبًا من اللاعبين هو المصور الخاص بالبعثة قبل أيّ حدث مهم، وعلمتُ بعد ذلك أن اسمه سمير كمال.. كان قريبًا من اللاعبين بطريقة مُريبة؛ فأحيانًا يحل لهم مشاكلهم الخاصة والمادية، وسيادتُك تعلم أن معظمنا شباب حالته المادية تحت المتوسط؛ فالماديات تحركنا، وخاصة إن كان الرقم كبيرًا...

بأحد الأيام كنت أتحدث مع صديقٍ لي عن أن أبي اتصل من البلدة ويريد مالًا إضافيًّا لاقتراب فرحِ أختي، ولا أملك أي جنيه فائض أستطيع أن أرسله له؛ فوجدتُ من يربض على كتفي ويقول:

– أعتذر عن التجسس، لكن المقصد خير، لقد سمعتُكَ ولديّ فرصة عمل أعتقد أنها ستناسبك، أربع ساعات باليوم لكنها يوميًا بسبعة آلاف شهريًا!

عندما قال الرقم شعرتُ أن هناك برجًا انهدم بعقلي، ما هو العمل الذي يعطيك كل ذلك؟!

فأخبرني موديل إعلانات؛ فوافقت، فكانت البداية لدخول عالم آخر، وكل مرة أريد التراجع كان يحدث شيء مغرٍيجعلني أتراجع.

حسام:

– مثل ماذا؟

عماد:

– بعض المرات كان الطُّعم إعلانًا بمقابل ماليّ ضخم، لقاء مع رجل أعمال كبير، لكن في أحد المرات وجدتُ اتصالًا من أبي باحتياجه لمبلغ 250 ألف؛ لأنه فقَدَ يده بحادث، حتى هذه اللحظة لا أعلم هل الحادث

كان مدّبرًا؛ لأنه كان بعد خمسة أيام من خلاف معهم، لكن كيف؟! هم لم يروا أي شخص من عائلتي!

حسام بنبرة الاندهاش:

– لا يحتاجون ليروا كي يعلَموا، بمجرد انضمامِك لهم فكلّ ما يخصك صاركتابًا مفتوحًا أمامهم، ولكن ما هو الخلاف؟

عماد:

– رفضتُ أن أبِيتَ ليلة مع رجل أعمال شهير، لكن و افقتُ بعد ذلك مقابل التكفّل بكل شيء يخصّ عملية أبي.

حسام:

– ألا تستطيع أن تقول اسم رجل الأعمال؟

عماد:

– لم أرَه، كان يرتدي قناعًا.

حسام:

– أتعلم أن صديقك إسماعيل أصبح أميرًا لأحد الجماعات الجهادية بسيناء؟

عماد بعد أن تنهد بعمق:

– لا، لا أعلم.

المشهد الثاني عشر

- أأنتَ من حاولت قتل ماري؟

سامح بنبرة الغضب يوجّه السؤال لهاني.

هاني وهو ينفث دخان السيجار:

- نعم أنا.

سامح بنبرة سخرية:

- أتحاول قتل طليقتي.. لماذا؟

هاني ببرود:

- لأنها خطر، أنت تعلم أنْ لا مكان للعواطف والمشاعر هنا.

سامح وهو يتحرك من شدة عصبيته:

- لا مكان للعواطف والمشاعر أمْر، لكن لا نقتل بعضنا البعض.

هاني بذات البرود:

- لا أحب الإطالة في مواضيع أراها منتهية، من يصير خطَرًا يجب إبعاده.

هند تتدخّل لإنهاء هذا الحوار:

- علينا أن نتحلَّى بالهدوء حتى يأتي عادل ونعرف منه المستجدات.

يهبط عادل من على الدرج، ويوجه كلامه لهم وهم جالسين على الأريكة:

- من المتوقع استدعاء سامح وهند وسمير للتحقيق أمام النيابة؛ فيجب عليكم التركيز قبل الرد على أي سؤال، أنصِت جيدًا للسؤال واصمُت لثواني قبل أي إجابة.

المشهد الثالث عشر

– ألو.. نعم أنا سامح.. ماذا تقول؟! كيف حدث؟! متى؟! مستحيل.. أبي ليس له خلاف مع أحد.

بتلك الكلمات أجاب سامح على من يحادثه على التليفون.

– سأوصلكِ يا هند لبيتك ثم سأسافر لسيناء.. أبي بالمستشفى إثرَ عراكٍ بينه وبين مسلحين جهاديّين.

– أهو بخير؟

هند تسأله والقلق على وجهها.

– لا أعلم شيئًا الآن.

***

تصل الشرطة لمكان الحادث ليجدوا ماري مستلقية على الأرض، وعلى المائدة مخدّر الهروين.

– أعتقد وفاة نتيجة جرعة زائدة، لكن سنقوم بالتحليل والتحقيقات قبل الجزم بأي شيء.

قال ذلك زهري لصديقه حسام.

حسام والغضب يتحكم به:

– جرعة زائدة بعد خروجها من المستشفى بثلاثة أيام بعد محاولة فاشلة لقتلها! وقبلها بشهر اشتباه بحالة انتحار! كل ذلك بعد أن أدلَت ببعض المعلومات لنا! أصدِر أمرًا بتفتيش كل منازلها ووضع كل ما يخصها أو يمسها تحت رقابتنا، مع قرار بعدم تناول أية وسيلة إعلامية أو صحفيّة أيًّا كانت لما يخصّ قضيتها، قبل أن أنسى.. أريد طليقها سامح.

فيجيب زهري:

– تم اغتياله اليوم من قِبَلِ بعض الجهاديّين وهو بسيناء يطمئِنُّ على والده.

حسام:

– ألقِ القبض على إسماعيل.

المشهد الرابع عشر

داخل غرفة بها إضاءة من لمبات بنفسجيّة تقف سيرين تخلع ملابسها ببطء، وأمامها ليليان تسكب النبيذ بالكؤوس، تعطي كأسًا لسيرين، ثم تلقي تحية بكأسها وتقول:

– في صحة إسماعيل.

ليليان وهي تحرك يدَها على عنق سيرين:

– إسماعيل شاب رائع.. نستطيع أن نجعله ضمن دائرتنا، لكن يحتاج لإغداق.

سيرين وهي لا تقاوم ليليان:

– أكثرمن ذلك؟

ليليان:

– نعم.. يجب أن يظل ضميره نائمًا.

***

بهذه الكلمات بدأ حديث إسماعيل في تحقيق النيابة مع سيادة المقدم حسام..

حسام:

– ولماذا لم تتراجع وقتها و أنتَ سمعتَ ذلك؟

إسماعيل وهو يفرك ذقنه:

– لأنني إذا تراجعتُ معناه أنني تجسّستُ عليهم.

حسام:

- لكن أنت انسحبت بعد ذلك؟

إسماعيل:

- سأحكي لك السبب في حينها.

حسام وهو ينفث دخان السيجار:

- كيف دخلتَ تلك الدائرة وتعرّفتَ على عماد؟

إسماعيل:

- أنا وعماد كنا شركاء سكن، أما بالنسبة لكيف دخلتُ لتلك الدائرة فالإجابة تكمن أنهم اختاروني؛ لأن كل شيء بدأ بعد حملة الإحصاء التي يفعلها جمعية الخير للخير للقُرى الأكثر فقرًا.

المشهد الخامس عشر

رقص، شرب، قفز، تهليل، فرحة..

كانت تلك هي أجواء الحفلة المُقامة بفيلا محسن العباس بالعلمين، فيلا على الشاطئ.. إذا صعدتَ للدور الأخير سترى الفتيان مع الفتيان يجلسون على أطراف الشاطئ يداعبون بعضهم البعض، وكذلك الفتيات مع صديقاتهنّ، ومع كل شخص زجاجات النبيذ مع أضواء أشبه بالأندية الليلية..

كنت مشمئزًا بالبداية، أحيانًا شعرتُ بالغثيان، وأوقات أخرى كنت أرفض لكن من الداخل فقط.. أظن أن تفسير ذلك يكمن بالاعتياد.

هي كالدائرة التي تجد نفسك جزءًا منها ومن المستحيل الخروج عنها، بل أحيانًا تكون أنت الحلقة الأهم رغم ضآلتك كقيمة، تتساءلُ لماذا لا يتم التضحية بك وكيف لا تتمكن من الخروج؟

الإجابة في الأغلب تكمنُ أن الأمر أصبح سلف ودين..

يبدأ بالإغداق، تجد الأموال والنِّعَم صارت كثيرة بين يديك دون مقابل؛ فتقرّر أن تعيش اللحظة وتُغمِض كل حواسك التي تعمل كجهاز إنذار لأفعالِك، وفجأة يبدأ من كان يُغدِق عليك بطلب المقابل؛ فلا يوجد أحد يفعل شيئًا بدون مقابل.

أظن أن الأمر يكمُن في الاعتياد، تلك اللحظة التي تقتل فيها الاستجابة.. الاعتياد يقتل تلك النقطة التي تقف ما بين المألوف والمختلف.. المختَلِف نُطلِق عليه هذا الوصف حتى نعتاده.

تغيير الأوصاف والمفاهيم والمصطلحات كفيلٌ بهدم كل ما هو حرام، اللعبُ على ما تسمعه لجعل الأذن هي التي تطلق الأحكام، الحُكم عندما تصدرُه من مكان غير العقل والقلب لا يكون عنوان الحقيقة.. كيف

يكون عنوان الحقيقة والجهة المختصّة بالمرافعة وتفنيد الأدلة تنحت عن عملها؟!

أشعر.. لا أشعر، بل متيقّنٌ أن الهدف من ذلك جعلنا نستيقظ بعد فوات الوقت حتى لا تستطيع الرجوع عن ما بدأته.. تلك اللحظة التي يتوقّف فيها الزمن؛ فلا تتذكر كيف تورّطتَ ومتى غاصَت قدمك في الوحل بهذا الشكل؟!

في جزء من ثانية تجد كل من حولك أصبح مشجّعًا وداعمًا للإقدام على ما أنتَ متردد عنه، تنظر في وجوه الناس جمعاء أملًا في رؤية فم واحد يقول لك:

- لا.. أو فكر.. أو انتظر.. أو تريَّث؛ فلا تجد.

فتبدأ بالتحرك خطوة واحدة لكن ببطء منتظرًا أحدًا يعرقل قدمك؛ فلا تجد؛ فتتقدم أكثر وعيونك منجذبة للذي هناك.. هناك لكنه قريب، لقد لمستَ لمعانه بيدك، ورأيتَ بريقه بعينيك، وسمعَت بأذنك كل من ذهب له واستمتَعَ بالمكوث معهم..

وأي قرار خاطئ يكفي فقط أن تُقدِم عليه بعينيك وأذنك ويدك.

المشهد السادس عشر

– كل شيء سيتم إعداده بدقة متناهية، لا تقلق؛ لأن منصور هو من سيتولى المتابعة بنفسه.

كانت كلمات سمير لهاني العقبي، ثم أغلق التليفون واستمر بحديثه مع هند.

– مندهشةٌ من سرعة تأقلم منصور واكتسابه ثقة الجميع.

قالت هند هذه الكلمات ثم نظرت لسمير.

فأجابها سمير:

– أتفق معكِ، لكن لا بُدّ من تغيير الوجوه بعد تسرب هاشم عوض بيننا ولم نجد أفضل من منصور.

هند:

– منذ خبر هروبه بعد الفضيحة الجنسية ولم نعُد نسمع عنه شيئًا، هل تتوقع أنه استسلم فيما يخص قضيتنا؟

سمير:

– حتى إن لم يستسلم فليس هناك ما يورطنا معه.

هند:

– لقد كان بيننا لأكثر من عامين.

سمير:

– لا تقلقِي؛ فذلك الأمر بين يدَي هاني العقبي وعادل صديق، مثل هذه الأمور هم أساتذة بإدارتها.

المشهد السابع عشر

هاني وهو يجلس على السرير ينفث دخان سيجار:

- لقد أصبحتَ لا تأتي كثيرًا يا سمير.

سمير:

- ألا تظُنّ أن العيون كثيرة علينا؟

هاني وهو منفعل:

- منذ متى والعيون ليست كثيرة؟

سمير وهو يحرك يده على قدم هاني:

- نعم كانت كثيرة وستظل، لكن اكتشاف أنّ بيننا جاسوسًا أمرٌ يدعو للهدوء.

هاني بعد أن أطفأ السيجار:

- يوم ما سنفعل ذلك في العلن أمام الجميع.

***

- ماذا حدث؟! حريق!! كيف ولماذا؟! أنا قادم.

بهذه الكلمات أجاب حسام على زوجته، ثم وضع هاتفه في جيب البنطال و انطلق مسرعًا لمنزله.

عندما وصل وجد حريقًا، لكن أخمده الجيران قبل أن تضرم النيران، فسأل زوجته:

- هل حدث ذلك و أنتم بالمنزل؟

فأجابت:

- لا.

- لماذا حدث ذلك وهل هذا مدبّر؟

سألته زوجته بنبرة قلقة.

فكانت إجابته أن كل شيء وارِد، ثم تركها ودخل غرفته؛ فتبعته.

المشهد الثامن عشر

أيصح اختزال معنى حياتنا بالطريقة التي سارت بها؟

أعتقد من الظلم تجاهل الظروف التي أوصلتنا لذلك..

أعتقد من الظلم تجاهل متغيرات الأمور التي جعلَت الحياة تضعنا تحت وطأة نيرانها و أتاحت لنا اختيارات أحلاهم مرارته مؤذية..

بداخلنا جميعًا شيء خفي لا يندرج تحت تصنيف معين، ولا نستطيع أن نعطيه اسمًا محدّدًا يتشكل حسب ما ينقصنا، ونحن لا نملك شيئًا حتى نتعكّز عليه كعصا أمام متاع الحياة..

وإذا كنا نملك فالعصا الذي نملكه أصابه التخوخ.. التخوخ نتيجة رغبتنا أن نكون من الواحد بالمئة.

الحياة خُلقَت لكي يكون هناك واحد بالمئة لديه ما نستطيع أن نصفه بحياة إضافية، وتسعة وتسعون بالمئة جزء منهم وُجِد على هذا الكوكب بدون ما يجعله يعيش حياته كاملة.

يقولون إن الإنسان لديه حياة واحدة، لماذا نخشى تجربة ما هو جديد؟!

أظن أن ذلك خاطئ؛ فهناك فئة لديها من المال الذي يجعلها تمتلك حياة إضافية، تستخدمها وقت ما تريد..

هذا ما جذبنا، هذا هو البريق أو اللمعان الذي سِرنا باتجاهه وعيوننا معصوبة..

بأحد الأيام سمعتُ صراخًا مكتومًا أو ما هو أشبه بعراك، لكن طرف يضرب والآخر يتألم فقط؛ فاتبعت الصوت حتى وصلت لغرفة بنهاية حديقة المنزل، ما رأيته كان خيالًا...

غرفة على مساحة كبيرة مجهّزة كمستشفى صغيرة بها أغلب وأحدث الإمكانيات.. رأيت سيرين وليليان يقفان ليتابعا ما يحدث..

فتاة يولّدُها مجموعة الأطباء بطريقة أشبه بالاغتصاب!

رفعتُ عيني قليلًا لأجد مجموعة من الفتيات يتم توليدهن بتلك الطريقة البشعة، المجرمة، التي ليست بها إنسانية، وبعد أن يتم توليدهن يضعون الأطفال الرُّضّع بحضانات، ثم سمعت ليليان تقول:

– أي سيدة ترفض العرض الذي سيُقدّم لها يتم التعامل معها.

***

– نكتفي بذلك القدريا إسماعيل، نستكمل غدًا.

قال ذلك حسام.

المشهد التاسع عشر

من يريد المراهنة؟

من يريد المجازفة؟

من يريد المغامرة؟

لعبتُنا لهذا اليوم المكسب 50 ضعف الرقم الذي ستضعُه بدرج المراهنات..

فتى مفتول العضلات سيواجه نمرًا جائعًا، إن انتصر الفتى سيُنفّذ له طلبه، وإن التَهَمَه النمر كان هذا مصيره.

أمامكم ساعة قبل بداية العراك حتى تضعوا المبلغ الذي ستُراهن به، لكن فائز واحد وهو من قرّر المجازفة بأكبر مبلغ.

لم يكن فتى، بل كان صديقي محروس، وكانت تلك عقوبته؛ لأنه أصبح مديونًا بما يقارب عشرة مليون، وأصبح لا فائدة منه، لم يعُد يعطيهم المردود المناسب؛ فقرروا عقابه أو إعدامه بتلك الطريقة.

مثل هذه الحفلات كانت تقام أسبوعيًّا تبدأ بفقرة فتاة تتسلّق العامود وهي تخلع ملابسها قطعة تلو الأخرى، وتحتها أسياخ من الحديد؛ فإن انزلقَت تموت، ثم فقرة بالسكين التي يتمّ فيها ربط فتى أو فتاة على لوح خشب، ويتم اختيار واحد من الحاضرين لرمي السكين عليه، ثم الفقرة الثالثة صراع مع حيوان مفترس، كل فقرة يتم الرهان عليها حتى تزداد الإثارة.

كانت تقام بأحد فيلات حاتم السعيد؛ لأنه كان يعشق ذلك، يجد لذته فيها، متعته كانت بالدم أو رؤيتها، كان يراه ويقول ما أجمل لون الفراولة!

الأجواء هناك تشعر فيها أنك مُخدّر تمامًا، منذ دخولك حتى خروجك في صباح اليوم الثاني.

حاتم السعيد كان يجلس بكرسي في الأعلى كالملك الذي بالسماء يتابع ما يحدث على الأرض.. يأمر بقتل ذلك، أو أن يأتي ذلك ليجلس بجانبه، أو يدخل ذلك القفصَ ضد الحيوان المفترس.. من يُخطِئ لا يموت، بل يجب تعذيبه أولا للاستمتاع بتلك الرحلة.

سمعتُه مرة يقول:

- لماذا نقتل بأيدينا؟! القتل أمر سهل، لكن الصعب هو الوصول له؛ لذا علينا أن نهيّئ الأسباب التي تؤدي له؛ فتلك هي المتعة.

المشهد العشرون

في الأشهر الأخيرة كانت مرتبكة متوترة، أصبحَت تلجأ للمخدرات كثيرًا، هي مدمنة هروين منذ أول يوم عملتُ بمنزلها، سألتُها ذات مرة:

– لماذا تدمرين ذاتك و أنتِ لديكِ كل شيء؟

فأجابت:

– لأن لدي كل شيء! هذه هي الإجابة، الملل سيزورروحك.. سيجعلها محاصرة كأنها في زنزانة انفراديّة؛ فتبدأ بالبحث عن ما يطرده؛ فتلجأ لأمورلم تجربها قبل ذلك.

فقلت لها:

– لماذا لا تتزوجين وتنجبين طفلًا أو تتبنّين رضيعًا؟

فقالت:

– لم يعد ذلك يصلح، إذا تزوجتُ فهذا مخالف لميثاق المنظمة، أما التبنّي فكيف أكون أُمًّا و أنا مدمنة؟!

في هذه الليلة كانت تحت تأثير الهروين؛ فشرعتُ باستغلال ذلك وسألتها:

– ما المقصود بالمنظمة؟

فأجابت:

– مجموعة من كباررجال الأعمال تعطيك كل ما تطلب، شريطة أن تكون واحدًا من ضمن الأناس اللائي يعمَلون معهم لنشر المثليّة.

كانت هذه الكلمات التي قالتها محروسة مَن كانت تدير منزل ماري منير.

هناك عدة نقاط يجب أن أضيفها يا سيادة المقدم..

هند خضر وسمير كمال كانا أكثر الأشخاص قُربًا لماري.

حسام بعد أن عقد حواجبه:

– لكن من وجَدْنا جثة بمنزلها كان خالد جلال الدين ابن سيادة وزير الثقافة الأسبق.

محروسة:

– خالد بيه أصبح يتردّد عليها مؤخرًا قبل وفاتها بخمسة أشهر، وكانت هناك علاقة حميميّة بدأت تنشأ بينهما.

حسام وهو يضع يده على وجهه:

– هذا ما كان ينقصنا.

المشهد الواحد وعشرون

- هاشم بخيريا مدام ميار، وكل ما كُتِبَ عنه كذب و افتراء.

هذا ما قاله زهري وهو جالس يرتشف العصير بأحد الكافيهات مع مدام ميار.

ميار بنبرة بها عناد:

- أين هو؟ لماذا لا يطمئن على ابنته؟

زهري:

- كل شيء سنقوله بوقته، كل المطلوب من حضرتك دعمنا.

ميار وهي تشعر بالضيق:

- كيف؟

زهري:

- التصديق على كل الكلام الذي يُقال عنه، و أنه هرب فورَ معرفة الشرطة بفضيحته الجنسية.

فتنعقد حواجبها مندهشة قبل أن يبدأ زهري بشرحِ ما يحدث لها:

***

- اتفضل يا بُنيّ بيتك ومطرحك.

بهذه الكلمات استقبل الحاج عوض أحد أمناء الشرطة عندما أخبره أنه جاء بتوصية من المقدم حسام.

أمين الشرطة بنبرة الابن الذي يحدّث والده:

– أنا حامد عبد الحليم، إذا سمحتَ أن أعتبر نفسي ابنَك جئتُ بهذا المظروف لأسلمه لك ثم أرحل.

الحاج عوض:

– انتظريا بني، دعني أقدّم لك أي مشروب.

حامد وهو يقف على الباب:

– شكرًا يا بابا.. سلام.

أغلق حامد الباب خلفه؛ ففتح الحاج عوض المظروف ليجد مبلغًا من المال ورسالة؛ فالتقط نظارة القراءة..

"أبي أشتاق إليك ولأمي..

لا أستطيع أن أكون معكما الآن، لكن أنا أعلم عنكما كل شيء، وأنّ أمي مقبلة على عملية تركيب دعامة قريبًا؛ لذلك أرسلتُ لك مبلغًا من المال قد يساعدك.

لا تصدق ما يقال؛ فهناك جزء خفي سيظهر قريبًا، أرجوك لا تهملني من دعواتك؛ فأنا في أشدّ الاحتياج لها.. أعدُكَ بأن لا أخذلُك أبدًا.

ابنك هاشم"

المشهد الثاني والعشرون

على مائدة كبيرة تجلس هيام وأمامها أطباق بها أشهى أنواع الطعام وعصائر لا تُعدّ ولا تحصى، وعلى الجانب الآخر يجلس عدد من الرجال يرتدون جلابيب وقفاطين وعِمم، فتبدأ تأكل وهي تتحدث:

– أنتم الآن تريدون الثورة وترفضون ما فعلته لأجلكم.

قالتها وهي تنظر لمجموعة من الفتيات يبدوا عليهم إنهاك الولادة.

– آباؤكم الذين قرروا بيعَكم أنتم وأطفالكم مقابل مال أو وظيفة أو حياة أفضل.. منحتُ كل فتاة فرصة أفضل، لكن كان الجزاء أن تتفقوا على رفضها، هل أولادكن إذا ظلوا معكن كانوا سيعيشون حياة أفضل من التي نوفّرها لهم عندما نتبناهم؟ نحن نُقدم للمجتمع خدمة عظيمة بتحسِين حياة أشخاص خُلقوا وهم في عداد الموتى، ورغم ذلك نُحارَب، ترفضنَ أن يتبنّاهم أشخاصٌ مثليّة الميول، وتحاربوا ذلك أنتم والشرطة بحجّة الأخلاق والدين، لكن عندما يتزوج شاب فقير من فتاة فقيرة وينجبوا حفنةً من الأطفال دون توفير الحد الأدنى من جودة الحياه هذا ليس مخالفًا للأخلاق والدين، إنَّ أول شريكان مثليان وُثِّقا في التاريخ كانا خنوم حتب وني انخ خنوم.. ذكرَان مصريّان قديمان عاشا في حوالي عام 2400 قبل الميلاد، رُسم هذا الزواج في وضعية تقبيل، نحن حضارة ورغم ذلك يتم اضطهادنا.

تضحك ضحكة استخفاف ثم تقول:

– لمن أقصّ ذلك؟! لمجموعة من الجهلة نتاج عادات وتقاليد موروثة خاطئة.

ثم تقول:

- يا منصور.

يتحرك منصور الذي كان يقف بالخلف وهو يجيب:

- نعم سيدتي؟

- هؤلاء الرجال يتم قتلهم عن طريق سم بالأكل بالمادة الخاصة التي نملكها، أما عن الفتيات فإننا نحتاجهنّ لإرضاع الأطفال، قم بإبلاغ السيدة سيرين وليليان بما حدث حتى يحتاطا.

المشهد الثالث والعشرون

سنعلن عن تدشين بيت الكرم التابع لجمعية الخير للخير، وجزء أساسي من خدمتنا الواجبة لأهالينا، وأهدافه ستكون كالآتي:

وضعنا لأنفسنا ثمانية أهداف عامة للاستراتيجية، هي:

- وضع استراتيجية تعتمد على تنوع مصادر التبرعات للوصول لأكبر كَمٍّ من الأموال لمساعدة كل فقير.

- إنشاء هيئة مختصّة تناقش حالة كل فقير على حِدَة لتحديد ما يحتاجه.

- تعزيز الاستفادة من خدمات بيت الكرم؛ لتحقيق شبكة تُسمّى بالأمان الاجتماعي.

- إنشاء لجنة يكون هدفها ضمان التوزيع المالي الفعّال؛ حتى لا يجور أحد على نصيب آخر.

- إنشاء لجنة التعليم هدفها محو أميّة أكبر قدْرٍ ممكن.

- إنشاء لجنة التطوير التي سيكون عملها إنماء المهارات الفردية وبناء كفاءات.

- فتح خطوط تواصل مع شركات القطاع الخاص لتعيين أكبر قدر ممكن.

- إنشاء لجنة المقترحات التي ستعمل على استقبال الأفكار الجديدة التي من شأنها تمكين بيت الكرم من القيام بدوره لخدمة الدولة المصرية.

ولتحقيق ذلك يسعدنا أن نعلن توقيع الشراكة وتعاون مع مؤسسة الأزهر الشريف والكنيسة المصرية تحت مظلة وزارة التخطيط، فليتفضل كل من المهندس غالي عمر ودكتور محسن العباس وحاتم

السعيد والسيدة ليليان داوود وسيرين علاء لتوقيع العقود مع مندوب الأزهر الشريف والكنيسة المصرية ووكيل وزارة التخطيط.

أعقب ذلك تصفيق حار من الحاضرين بصالة الفندق.

– الآن مع كلمة مقتضبة من المهندس غالي عمر.

يتحرك متكئًا على عكازه الذهبي حتى يصل للميكرفون، ويقول:

– لا أريد أن أطيل عليكم؛ لأن من يتكلم لا يفعل، ونحن نريد أن نضع بصمة في المجتمع، نحن لا نفعل ذلك منّة أو حسنة أو إشفاقًا، بل إيمانًا بدورنا المجتمعي، إذا كان الأمر بيدنا فنحن لا نريد رؤية أي فقير؛ لذلك نحن هنا اليوم.

تصفيق حار من الحاضرين معه نزول المهندس غالي عمر، ثم كلمة كُلٍّ من مندوب الأزهر الشريف والكنيسة.

المشهد الرابع والعشرون

على درجات السلم يصعد عادل مهرولًا ليجد باب شقة هاني العقبي مفتوحة، ليدخل فيراه مُلقى على الأرض غارق بدمه، فيتكأ على ركبتيه ويسأله:

- ماذا حدث؟

بصوت ضعيف يقول هاني:

- إسماعيل بالداخل يفتش في كل الأرجاء.

عماد:

- سأذهب له.

يتحرك عماد بالمنزل ليبحث عن إسماعيل، حتى يجده وهو يفتح أحد الخِزَن ومعه ورق يضعه بالحقيبة؛ فسأله:

- ماذا تفعل؟

إسماعيل بصوت غاضب:

- اذهب من هنا.

***

- كان هذا آخر لقاء بيني وبين إسماعيل يا سيادة المقدم.. كنت ذاهبًا لهاني العقبي لأطلب منه ان يكفوا عن الزج باسمي والضمان ما هو معهم عني، لكن وجدتُ ما قصصتُه الآن.

- ثم؟

قالها حسام بصيغة سؤال.

وجدتُ نفسي متّهمًا بشروع في قتل هاني، لكن بعد خروجه من المستشفى تنازل عن البلاغ وقال إنه ليس أنا، وهذا ليس لأنني لم أفعلها، بل مقابل الاستمرار كقسِّيس وأخدمهم و أنا هناك.

أجاب عماد.

- وهل خدمتهم و أنت هناك؟

كان سؤالًا من حسام.

فأجاب عماد:

- نعم، عن طريق أن أيّ شاب لا يريد الاستمرار معهم كنا نضمّه للكنسية كي يعمل معنا.

المشهد الخامس والعشرون

- ابن الوزير كان يريد إقامة علاقة معها، لكنها رفضت، ليس لأنها عفيفة، بل لعهدها مع المنظمة.

كانت كلمات محروسة أثناء التحقيق مع حسام.

- وعندما رفضت لجئوا للحيلة الثانية، وهي القتل بجرعة مخدرات إضافية؟

قالها حسام بنبرة سؤال لمحروسة.

فقالت محروسة:

- لا يوجد دليل ذلك، لكن وارد.

***

أتذكر ذلك اليوم جيدًا، وتلك الليلة والسهرة، كيف تحولتُ من إنسان فقير جئتُ لهنا بوعد منهم أن أصير لاعب رفع أثقال يبحث عن حلم ميدالية بالأولمبياد لشخص يُنفّذ ما يُملى عليه فقط.

هبط على الدرج وأنا أرتدي زيًّا أشبه بلاعبي رياضة الكيك بوكس، وهناك وُجِد عدد قليل من الأشخاص، هؤلاء من يستمتعوا بالدم ويتلذذوا بالعنف..

حاتم السعيد وبجانبه ابنه فارس، أخبرني من هو قبل أن أدخل الحلبة، وقال إنه يتابع كل الرياضات العنيفة.

بدأ العراك بيني وبين شخص لا أعلمه، وعندما انتصرتُ وجدتُ فارس يقول بصوتٍ عالٍ:

- اقضِ عليه.

فلم أفهم ما طلب؛ فكررها مرة أخرى؛ فسألتُ ما المقصود؟! فأجابوا بأن تقتله، لكن هناك شرط.. أن يُسال منه دم؛ لأنه يحب أن يراه؛ فرفضتُ، لكن وجدتُ هاني العقبي يدخل الحلبة ومعه أسد، وقال:

- إما أن تقتله أو يقتلك الأسد.

نظرت لهاني ثم الأسد ثم الولد الملقى على الأرض وهو يبكي ويتوسل بعينيه بألا أفعل ذلك.

ظللت هكذا لثوانٍ والأصوات ترتفع من الجالسين:

- اقضِ عليه.

لا أعلم ما حدث، لكن ما رأيته أنّ هذا الولد الذي لا أعرفه ملقى على الأرض غارق بدمه، ويخرج هاني من الحلبة ومعه الأسد، وتحولت الأصوات لتشجيع وتهليل وتصفيق..

كانت البداية للتحول لقاتل، وطالما لم ترفض ستجد نفسك في دائرة لا تستطيع الخروج منها رغم ضآلتك كحجم وقيمة إلا صعب التضحية بك.

الأمر اشبه بالسلف.. ترفضه في البداية لأنه تلف، لكن تحت الضغوط توافق؛ فتقترض مبالغًا صغيرة فقط تعينُك لاستمرار بالحياة، ثم لأنه مال سهل يأتي دون مجهود، تزداد قيمة الذي تطلبه دون أن تكترث للفوائد التي تُضاعِف المبلغ؛ فلا تتذكرها إلا وأنت محاصر بين نيران طلب صعب مخالف لك أو الحبس أو القتل؛ فترضخ وتستمر بالدائرة المفرغة.

***

هذه الكلمات قالها إسماعيل أثناء التحقيق، ثم استكمل:

- لولا عماد و إقناعهم أنني سأذهب معه للكنيسة وضمان عدم الإفصاح على ما فعلته معهم لم أكن لأخرج من تلك الحلقة المفرغة.

المشهد السادس والعشرون

بعض الأشياء بعيدة، بعض الأمور صعبة، كل الأهداف مستحيلة..

أظن أنّ مع الوقت فكرة الزمن والمكان أصبحَت مجرد رقم لا نعيرها اهتمامًا؛ لأننا نمضي، كيف ومتى نمضي؟ لا يهم، أو ليس لا يهم! بل لا تهتم.

هناك فارق بين لا يهم ولا تهتم.. الأولَى تعتمد على أنّك عرفتَ أو أدركت أو شعرتَ بنفسك أو أحد أخبرك أن هناك شيئًا أو أمرًا خاطئًا فيما يحدث، لكن ستستكمل ما شرعتَ فيه، الثانية جوهرها بأن إذا علِمتَ أو أدركت أو شعرت بأن هناك شيئًا أو أمر خاطئًا فلن يُحدث ذلك تأثيرًا أو أثرًا على قناعاتك؛ لأنك صِرتَ لا تبالي.

لماذا صرت لا تبالي؟

سؤال آخر مهم تطرحه الحياة عندما تصبح كل الأشياء والأمور والأهداف بعيدة، لكن هل الإجابة تكفي أو تبرر ما تفعله؟

لا.. لا أظن، بل أنا متيقن أنه لا.

نحن السبب أو العلة؛ لأننا ارتضَيْنا بأن نكون أشبه بالعبيد، لا لم نرتضِي، بل أُجبِرنا على أن نكون عبيدًا.

نحن سعينا واجتهَدنا ولم نجد الرزق الكافي، ليس مبرّرًا، لكن و اقع، ونحن لدينا أحلام.

هنا أعود لكلمة أظنّ..

أظنّ أن المشكلة تكمن بالأحلام؛ فنرفض الو اقع بسببها؛ فنكره الوطن لأننا جوعى؛ فنُساق مكبلين للغربة.

حين نرضخ للقيود هنا نسقط بالهاوية فنموت؛ لأن الوطن صار قطعة أرض تأويك فقط لليوم الذي يليه.

تلك القيم المعنوية وغير الملموسة التي لا تُرَى بالعين ولا تلتقطها بيدك؛ فتتحسّس جمالها هي التي تزيد من تعلّقك عندما تندثر بداخلك تُغادِر روحك.

نحن نموت عندما تغادر الروح رغم أن القلب قد يظل ينبض؛ فالروح لا تُرَى ولا تستطيع أن تمسكها، لكن تتحكّم في كل شيء؛ لهذا كل الأشياء والأهداف والأمور بعيدة ومستحيلة.

***

تلك هي الكلمات التي كتبها هاشم بغرفته داخل قسم الشرطة الذي يقطُنُ به منذ خبر هروبه.

المشهد السابع والعشرون

على مركب بالنيل وسط أضواء أشبه بالأندية الليلية مع أجواء صاخبة من الأغاني والرقص والشرب ستجد مجموعة من الأشخاص لا تستطيع رؤية ملامحهم يقفون للإشراف على ما يحدث.

ما الذي يحدث؟

شباب مفتولون العضلات يمسكُون بجثث ويضعونها داخل قطعة قماش كبيرة، ثم يربطونها من الأعلى بحبل حتى لا تخرج منها، بعدها يتم دفسها بالتوابيت، ثم تُعلّق بمسامير فلا تستطيع المياه فتحها عندما يتم رميها بالماء.

- أليس العدد كبير هذه المرة يا هاني؟

قالتها هند وهي تنفث السيجار بغضب.

هاني:

- نعم، لكن كان لا بُدّ من التخلص منهم.

يشترك سمير بالحديث:

- أنا قلق للغاية.. أشعر أنّنا لسنا منظّمِين كما سبق.

هاني وهو يضع يده على أحد التوابيت:

- أحيانا تكون الفوضى ستارًا جيّدًا لبعض الأعمال.

- لماذا تجلس هكذا يا منصور؟

كان سؤالًا من سمير الذي رأى منصور يجلس على الأرض ويضع رأسه وسط قدميه وهو متكور.

منصور بعد شفيق وزفير:

- أريد استيعاب ما حدث.

هاني بابتسامة ساخرة:

- ماذا حدث يا صاحب القلب الرقيق والكف الصغير؟! مجموعة صارت كالشوك بالحلق فتَمّ استئصالها.

منصور وهو غاضب:

- أن تضع فتيات وآبائهن عرايا لنمور جائعة أمام جماهير تحت تأثير المخدرات هذا يعتبر استئصال؟

هاني:

- نعم.. استئصال، هناك أمراض يجب يتم استئصالها من الجذور.

المشهد الثامن والعشرون

ليلًا بعد الثانية مع اشتداد ظلام الفجر تحرّكَت مجموعة من السيدات يرتدِين جلابيب سوداء وبأيدهم أسلحة بيضاء مختلفة يقتحِمْن منزل هاني العقبي بعد ضربِهم لبواب العمارة.

بعد كسرهن لباب المنزل يمررن من الصالة.. يفتحن باب الغرفة الأولى فلا يجنا أحدًا، ثم الثانية فيرين رجلين فقط ملبسهم سروال ملقيَين على السرير؛ فيحاصرنهما.

تتحدث إحداهن:

- هل أنتما عادل صديق وهاني العقبي؟

فيجيب هاني وهو يبلع ريقه:

- من تكُنّ؟

فتكرر سؤالها:

- هل أنتما عادل صديق وهاني العقبي؟

فلا يجيب هاني أو عادل، لكن يحاول كلاهما الإمساك بالمسدس الذي بجانبهما؛ فلا يجد يده؛ لأن هناك سيدة ما أن لبثت وبدأت تتحرك، قطعت يده بالسكين التي تمسكها؛ فصار الدم ملاصق للحائط، فصرخا؛ فانقضَضْن جميعهن عليهما وانهلن بالأسلحة التي معهن بالضرب حتى فارق كلاهما الحياة.

***

داخل جناح بأحد الفنادق الكبرى يجلس كل من غالي وحاتم ومحسن وسيرين وليليان ليتحدثوا..

- ما حدث جنوني لا يُصدّق، أمر بشع.

قالتها ليليان لغالي وهي غاضبة.

غالي بنبرته التي لا تتغير مهما طرأ او استجد حدث:

- هناك أحد بداخلنا يعبث بنا.

سيرين وهي متوترة:

- نحن الآن على شفا حفرة.

محسن بصوت متلعثم:

- يا حاتم، عليك إصدار أمر لرجالك لمعرفة ما حدث، قتل هاني وعادل بتلك الطريقة رسالة.

حاتم بنبرة مرتبكة:

- هذا ما حدث.. لقد كلفتُ سمير للفحص، من المفترض أن يصل لإخبارنا بآخر المستجدات وما استطاع أن يصل له.

محسن بنبرة خوف:

- إذا استطاعوا الوصول للأوراق التي يمتلكها عادل وهاني ستكون بداية النهاية.

- لا لا لا.

قالها غالي ثلاث مرات وهو غاضب بطريقة لم يرها أحد من قبل؛ فشعروا بالقلق، فسألوه:

- ماذا هنالك؟

غالي وقطرات العرق تسيل من على جبينه:

- لقد تم القبض على هند وسمير ومنصور أثناء تعاطيهم للمخدرات مع تحريز كمية كبيرة من بيوتهم، ووجدوا مذكرات تركَتْها ماري بها اعترافات خطيرة.

المشهد التاسع والعشرون

(اعترافات ماري)

بدأت الكوابيس تطاردني، أصبحت لا أنام، أَصِلُ الليالي بأخواتها كأنهم حبل كل قطعة أو خيط فيها يجذبني..

عذاب النفس أشبه بالمسجون داخل منزل يحترق ويصرخ دون أن يسمعه أحد؛ فيظل يتألم حتى تُضرَم النيران بكل مكان؛ فيغمى عليه من الاختناق فتموت روحه.

بأحد الليالي استيقظتُ منتفضة على كابوس مزعج، مخيف، يجعل جسدَك ينتفض، وروحك ترتعد..

إضاءة خافتة تشعر أنها ضوء القمر الباعث فقط لشعاع يجعلك تراقب ما يحدث، لكن عليك بذل مجهود حتى لا تهرُبَ المناظر من أمامك.

هناك يقف رجل يخلع جسده ليغسله.. نعم هذا الوصف الأكثر دقة، يخلع جسده كمن يخلع سروالًا!

يفتح صنبور المياه ثم يمسك جسده الذي هو أشبه بالأفرول الممزّق.. ليس ممزّقًا بالمعنى الذي تبادر إلى ذهنك، بل ترى مدى إنهاك هذا الرجل بجسده الذي يغسله.

يستمر بالفرك والمياه تزداد قوة مع الدموع التي تنهمر من عيونه.. يزيل الدم الذي هو أسفل القلب، ويمحو الهالات السوداء التي تحت عيونه، يتعامل مع جسده كأنها خرقة يستطيع محو آثار ما يعاني منه بالنظافة، ثم يقف عند معدته ليسمع صوت الجوع يصدر منها.

ليس جوع الطعام فقط، بل جوع الشعور أو المشاعر.. جوع يلتهمك.. يأكل عقلك وقلبك، جوع يقيدك.. يجبرك على تغيير ما تطمح إليه، جوع مزمن دائمًا لا ينتهي إلا إذا وجد الدفء، جوع يربطك بأشياء تمقتُها، جوع يقبض على قفص صدرك ويجعل معدتك تعتصر ألمًا.

يغلق الصنبور ثم يمسك جسدَه يرفعه أمامه، وينظر بتمعن ليرى هل هناك قطعة أخرى ليست نظيفة أم لا!

ومع تبدل ضوء القمر بلون بنفسجي يرتدي هذا الرجل جسده؛ لأن الرعشة تملّكَت منه ومن أطرافه.

فور أن استيقظتُ لم أتمكن من النوم مجدّدًا كعادة الأيام والأسابيع والشهور السابقة، هل هذا بسبب طريقة الحياة التي أعيشها؟

أظن ذلك..

أظن ذلك لأن حتى إذا أردتُ الذهاب لطبيب نفسي أقصُّ له مما أعاني فلن أقوى أو أجرؤ على فعل ذلك.. هذا ليس ضعفًا، بل تلك الرغبة اللعينة بالتمسك بالحياة.

سأخبره على كيف وصلتُ وبما ضحيتُ وما ارتضيت به؟

لا يمكن أن أفعل ذلك؛ لأن هذا يعني أنّني سأُقتَل، لكن أنا على قيد الحياة و أنا مقتولة؛ فأين الاختلاف؟

الاختلاف بأنني أستطيع أن استمر فيما لا يعجبني على الأقل، لكن إذ أفشيت كل ما هو خفي سأفقد الاختيار الوحيد الذي لا أملكه..

هل أخشى الموت؟

لا.. لا أخشاه؛ لأنني صرتُ تفاحة فاسدة هلكَت، وبقائي يفسد باقي السلة، لكن يظل بأيدينا إنقاذ أشخاص لم يتم وضعهم بالسلة، وهذا ما قررت فعله.

بهذه المذكرات مجموعة من الاعترافات موثّقة بأدلة تُدِين كل من غالي عمرومحسن عباس وحاتم السعيد وليليان علاء وسيرين داوود وكل من يعمل معهم.

المشهد الثلاثون

مجموعة من السيارات تكسر طريقها على ميار وبنتها لين وهي تقف أمام النادي وتفتح النار عليهما؛ فتتحرك الشرطة مسرعة خلفهم حتى تلقي القبض عليهم.

***

مجموعة من الرجال مفتولي العضلات يكسرون الباب على الحاج عوض وزوجته؛ فلا يجدوا أحدًا فيحطموا كل الأبواب، لكن ليس هناك شخص بالمنزل؛ فيشرعوا بإضرام النيران بالمنزل.

***

شخص ملثم يسير وراء زهري حتى يصل معه للمنزل؛ فيقتحمه ثم يلكمه بقدمه، فيجلس على الأرض من أثر الضرب؛ فيضع يده على عنق زهري حتى يتوقف عن التنفس فيتركه.

***

– من أنتن؟ ولماذا قتلتنّ عادل وهاني بتلك الطريقة؟

سؤال موجه من حسام لمجموعة السيدات اللائي يقفن أمامه.

فتتقدم واحدة منهن وتأمر الباقي بالصمت.

– أنا من سأتحدث بالنيابة عنهن.

حسام يأمرها بالكلام بإشارة من يده.

– أنا يسريه عبد الباري.. قصة بنتي وزوجي كقصة بنات وأزواج تلك السيدات مع اختلاف الأسماء.. كان زوجي يعمل بالأرض الزراعية يملكها أحد كبار رجال الأعمال، وحياتنا جيدة، حتى قرر هذا الرجل بيعها دون

الاكتراث لكيف سيعيش من كانوا يعملون بهذه الأرض؟ لكن فهمت بعد ذلك أنه كان يكترث أو يعلم أو يخطط لذلك؛ فهؤلاء الرجال مصدر رزقهم الوحيد كانت الزراعة، بالإضافة إلى أنه أقرضهم مبالغ مالية كبيرة مع رفض استردادها بحجة أنتم رجالي ليس مجرد عمال، كانت خدعة أو الشبكة أو الصنارة التي يعدّها لاصطياد رجالنا وبناتنا، بالبداية نريد رجالكم للعمل بمصانعنا، ثم بناتنا للعمل بمنازلنا؛ لأننا لا نثق بأحد مثلكم، مصانعهم ليست مصانع ومنازلهم ليست منازل! بل هي أدوات لتجارتهم، كانوا يستخدموننا في تسليم المخدرات والآثار والأعضاء البشرية، وبناتنا تُنجب ثم يأخذون أحفادنا لهم.

المشهد الواحد والثلاثون

(اعترافات ماري)

لن تستطيع تشييد القصر الذي بأحلامك بالاجتهاد فقط، ستحتاج لوسيلة غير مألوفة تساعدك بالقفز لتنطح السحاب وتلمسه.

كل الخيوط تبدأ من هاني وعادل وتنتهي معهم، هم أشبه بمن يمسك خيوط العرائس ويتحكموا بصوتهم.. يغيروا صوتهم وفق كل دور لتحقيق المطلوب وللوصول له، يتلونون كالأفعى للدخول للأماكن التي يريدونها.

شركة اختيار الموديل التي يعمل فيها سمير وهند باسم هاني.. كل الرسائل التي ترسلها الجمعية بتوقيع عادل.

عندما التقَيتُ بهاشم وعلمتُ أنه يسعى لكشفهم صرتُ معه وبدأنا نعمل معًا لفضحهم، لكن كنا نعلم أن العيون كلها علينا.

كيف التقَيتُ به؟

أثناء المؤتمر الخاص بالإعلان عن أحدث أفلامي، ظننتُ أنّه صحفي أو مصوّر؛ لأنه التَقَطَ عددًا من الصور بعدسته كانت رائعة، لكن علمتُ بعد ذلك أنه نائب رئيس التحرير بالموقع الذي يعمل به، لكن له استديو تصوير لأنها موهبته.

تطوّرَت صداقتنا، وجدتُ فيه الملجأ الذي بحثتُ عنه بالذهاب لطبيب نفسي؛ فقصصتُ له ما كان يؤرق عقلي وقلبي، فسألني:

- هل إذا استخدمتُكِ لفضحهم ستعتبرِين ذلك خيانة لصداقتنا؟

بالبداية ترددتُ، حتى وصلنا في يوم عن طريق فتاة زرعتُها بينهم أنهم سيسعون للتخلص من وجودي؛ لأنني صرتُ عبئًا ولستُ إضافة.

كنتُ سأنسى أن أكتب.. كل شخص له جاسوس على الآخر؛ فلا أحد يثق بالآخر هنا.

لم أفهم لماذا لا نثق ببعضنا البعض؟! فنحن في دائرة واحدة، نعم ما نفعله شر أو خاطئ، لكن نظل نعمل مع بعض لأجل هدف واحد.

ظللتُ مندهشة لماذا نزرع من يتجسّس لنا على صديق من المفترض أنه مُقرب، لكن أدركت الأمر.. نحن لسنا أصدقاء؛ فكلمة صديق مصدرها الصدق ونحن كاذبون.. نحن كاذبون ونفعل ذلك ببراعة، نكذبُ على أنفسنا، وبعد أن نستمع لأنفسنا عندما نخلو بها نضحك.. نضحك لأننا صرنا مُلزَمِين بتطبيق ما يقال أمام الجميع، لكن فقدنا احترامنا لذاتنا.

مع توالي الكذبات التي نتفوّه بها نفقد قدرتنا على تمييز الحقيقة تباعًا، ستنهدم الثقة التي يولّدُها الصدق؛ فيتبخر الحب؛ فيصير الشك هو محركنا.

عندما يصبح الشك محرّكًا لأفعالِك ستتصرف بخُبثٍ وسترى ظلام الليل فقط، رغم ضوء النجوم الذي يسطع أكثر كلما اشتد السواد.

هاشم توغل بينهم وزرع منصور، وكان ينفرد بلقاء كل واحد فيهم على حِدَة؛ لأنهم إذا عَلِمُوا من يبعثهم سيقضون عليه كالحشرة، وعندما وصل لقدرٍ كبير من المعلومات أرسلَها لي وأخبرني أنّه سيرسلها لك.

أخبرَني بصداقتكما وأنّك المنقذ الوحيد، فأمَّنتُ على كلامه، هو الوحيد الذي كان لا يكذب.

لكن اكتشفوا الأمر، كيف؟! لا نعرف.

المشهد الثاني والثلاثون

(اعترافات هند)

ما يميز الإنسان الغنيّ عن الفقير امتلاكه قدرة توصيل ما يقوله من هراء بطريقة منمّقَة لأكبر قدرٍ ممكن؛ فيتأثروا به.

قدرٌ كبير من البشر ينخَدِع ويسير وراء ما يظهر فقط لأنه ظهر!

هذا ما حدث معي..

كنتُ أعمل مساعدة لسمير، لكن انبهرتُ بحياته كلها، ملابسِه، سهراته، أصدقائه من كبار الشخصيات.

هناك أشخاص برّاقة لامعة الضوء دائمًا يذهب له، سِمير كان كذلك حتى دُون التحدث بحرف، صمتُه مبهر وكلامه مدهش؛ فتدَلَّلتُ عليه؛ فاكتشفتُ أنه لا ينجذب للسيدات؛ فطلبت منه أن أكون مثله.

فقال:

- ما المقابل؟

فقلت له:

- دعنا نحدد ذلك وفق الظروف.

كانت من هنا البداية، لم أضَع سقفًا للتضحية؛ فصرت كالطفل الذي يرى أمَّه تقف بنهاية الطريق بيدِها الحلوى؛ فيجري نحوها ويده ممدودة ومفتوحة.

الإنسان وحشي بطريقة لا تصفها الكلمات، أو نستطيع تشبيه قسوته بسلُوكِ الحيوانات المفترسة.

وحشيّةُ الإنسان منظمة، تصدرُ بعد تفكير واستخدام عقلِه؛ فتجدُه أحيانًا يتفنّن برسم لوحة القضاء على ما يزعجه، فقط لأنه يزعجه قد يجعلُ شرَّه يقضي عليه بتفنُّن.

صرتُ منهم وضحَّيتُ بأي شيء حتى لا أترك المكان الذي وصلتُ له.

لماذا لم أتركُهم؟

أعتقد فقط لأن روحي وجدَت قصة يرويها الناس كمثال للنجاح؛ فبذلك أشبَعتُ سرًّا من أسرار الوجود البشري بداخلي، كنتُ أعيش من أجل القصّة التي أحكيها للناس، لكن ما أفعله بالخفاء عكسه.

المشهد الثالث والثلاثون

(اعترافات سمير)

إن كنت تريد البقاء شفّافًا فعليك أن تنتصر على ما يعكّرها.

ما الذي يعكرها؟

أن تعيش و أنت تمتلك كل شيء؛ فذلك مزعج بذات القدر الذي يجعلُكَ مُرهفًا.

لقد كبرتُ ووجدتُ كل ملذّات الحياة أمامي، لا يوجد شيء أريده وإلا حصلتُ عليه، حتى عندما فشلتُ بالتعليم اشتريتُ شهادة بالمال.

ما الشيء الذي لم أتذوّقه؟

لم أذُق نفسي أو مَن هُم مثلي؛ فكان هذا الشغف الذي يحركني.

التقَيتُ بهاني في الاستديو، بعد فترة أدركتُ أنّه كان لقاء مُنظَّمًا، جاء إليّ بقدمه، كان يعرفني.

مع مرور الوقت تطوّرَت صداقتنا لعلاقة ثم عمل، الاستديو كان مكانًا جيّدًا لاصطياد الضحايا، هنا يأتي كل من يحلم بالعبور للعالم الآخر الذي يشاهدونه على الانترنت والتلفاز.

كنا نرسم مواصفات معيّنة، أهمها يجب أن تكون الضحية لا تملِك حتى تنبهر بما سنقدمه فتلهث وراءه.

لا يوجد إنسان سعيد بالمعنى الوافي لهذه الكلمة، حتى هؤلاء الذي لا يملكُون شيئًا رغم قدرتهم على النوم دون إغلاق الأبواب؛ لأن النوم لا يزور من لا يملك.

كيف سيزوره وعقلُه لا يتوقف عن التفكير؟ كيف سيزورُه وعقله يحترق من الألم؟

عقله يحترقُ من الألم وقلبه ينبض من المعاناة؛ فلا يستطيع تحويل أحداثِه الحزينة لشعور هادئ يستمِدّ منه الطاقة للوقوف مجدّدًا.

عندما نتقين أنّ هذا الشخص مناسب نبدأ بسحبه تدريجيًّا لنا، يجب ألّا يشعر أنه يسير باتجاهنا إلا بعد نصف الطريق على الأقل؛ حتى لا يتمكّن من إخراج جسده من الوحل.

الصبر والمجد والمثابرة والأمل وكل تلك القيم المعنويّة التي يردّدُها كبار رجال الدين لا تطعم خبزًا، وهذا ما كنا نعتمد عليه.

المشهد الرابع والثلاثون

- شكرًا يا منصور على فعلِك كل ذلك.

قال حسام تلك الكلمات بمكتبِه وبجانبه زهري ومنصور وهاشم.

منصور:

- لم أفعل إلا الواجب، القبض على تلك المجموعة كان أمرًا لا بُدّ منه.

هاشم:

- هل أصدرتَ أمرًا بالقبض على مجموعة رجال الأعمال التي تدير جمعية الخير للخير والتحفظ على ممتلكاتهم ومنعهِم من السفر؟

حسام:

- تم بالفعل.. عدا غالي عمر، لا يوجد دليل واحد ضده، لكن وضعتُه تحت التحقيق لعل وعسى نكتشف أمرًا أثناء ذلك.

منصور:

- كان يستخدمُهم كالدُّمَى.

زهري:

- أكثرهم ذكاء.

حسام:

- أدعو الله أن يعترف أحدٌ أثناء التحقيق بأمرٍ يُدِينه.

المشهد الخامس والثلاثون

(اعترافات حاتم ومحسن وليليان وسيرين)

علينا أن نجعلهم مؤمنِين بأن اللحظة التي ستغيّر مسارهم آتية حتى وهم يلتقطون أنفاسهم الأخيرة.

نحن المدينة التي يأمل الجميع العيش بداخلها، نحن لم نفعل شيئًا خاطئًا أو مخجلًا! انظركم من الأشخاص قمنا بتحسين جودة حياتهم، هم كانوا بسجْنِ الفقر والعوز، وأي دولة يُقاس تطوّرها بما توفره لمن يعيش بداخلها من حياة جيدة، وهذا ما وفرنا.

كانوا يحلمون ويتمنّون أشياء من مَدى استحالتها لا يفصحون بها؛ فمكنّاهم من الوصول لها.

أنتم عجزة عن فهم ما أقوله بسبب فكركم المتبلّد.

انتم عجزة عن استيعاب أمور طبيعية بسبب موروثات تدافعون عنها بشكل أحمق..

عجزة لأن عقلَكم مسمّمٌ بسبب عادات أفسدَت متعة الحياة.

نحن مختلفون عن السائد والطبيعي؛ لذلك نُحارَب، لكن سنظل ندافع عن ما نهدف له حتى نبرهن على أنفسنا.

أي قضية تكمُن في الإثبات، ما أن أُثبِت ما تريد ستُبرهِن على نفسك، نستطيع أن نقول كل قضايا العالم قضايا وجود.

كل شيء قابل للتغيير، فقط راهن على الوقت وتأثيره؛ لأن الإنسان عادة رغم محاربته لكل ما يستجد إلا أنه سيستكين له.

قدّمْنا للمجتمع خدمة جليلة، لكن ما المقابل؟

المقابل أنّنا نحاكم.. نحاكم على ماذا؟

نحاكم على أشياء معنوية لا يوجد عليها برهان إلا قصص وحكايات نستطِيع إثبات عكسها.

سأخبركَ بشيء يدلُّ على خطأكم..

البشر جميعهم دون استثناء يحترمون الغني ويعطفون على الفقير في العلن، لكن إذا ذهبتَ وراء كل واحد وأنصتَّ لما يقوله عندما يخلو بروحِه ستجده يحتقر الغني والفقير، الأول لأنه يملك ما لا يملكه، والثاني لأنه يريد ممَّن يملكه.

تسأل نفسك لماذا تُبجّل الغني وتعطي للفقير؟

لإشباع أحد الغرائز التي بداخله.

هل هي غريزة الظهور عندما يبُجّل الغني؟ هل هي غريزة أن يتحدث عنه الناس عندما يعطي للفقير؟

نعم.. لإشباع تلك الغرائز وأكثر؛ فنستطيع القول أننا نفعل ذلك لإرضاء جزء بداخلنا قبل التفكير هل يعود ذلك بالنفع علينا أم لا؟

نحن سعينا للخلود عن طريق أنّنا نملك كل شيء، رغم أن تعريفه ليس بهذا الشكل إطلاقًا.

الخلود ليس بأن تمتلك أكبر قدر من المال أو تجربة كل شيء، بل يتضح لنا ذلك البيت المهجور الذي كان في أحد الأيام قصرًا وصار لنا من التراث.

في البداية كان محطّ الجميع لمن يعيش فيه، ثم ظل كذلك لمن كان يعيش فيه.

أن توافق أو ترتضي بـ(كان) هي التي تُعطِيك ما هو مرادف للخلود.

المشهد السادس والثلاثون

داخل القاعة المرفقَة بغرفة اجتماعات مجلس الوزراء يجلس كلٌّ من حسام وزهري وهاشم ومنصور بانتظار السماح لهم بمقابلة كلٍّ من وزير الداخلية والعدل لتقديم ملف كامل عن القضية التي شغلَت الرأي العام طيلة الفترة السابقة.

يأتي أحد الساكرتارية الذي يأذَن لهم الدخول؛ فيُلقوا التحية ويأمُر وزير الداخلية لهم بالتحدث؛ فيبدأ حسام بعرض ما معه..

– بعد عمل دام لأكثر من أربع سنوات استطَعنا إلقاء القبض على مجموعة من رجال الأعمال سوّلَت لهم أنفاسُهم بالعبث بمقدّرات الدولة عن طريق تدمير الشباب، نستطيع القول إن ضربة البداية بدأت عند هاشم عندما قرر بحِسّه الصحفي تتبّع نجاح ماري منير التي وصلت لأعلى نقطة في سلّم النجومية بأقل زمن وأسرع طريقة، ليكتشِفَ حينها مجموعة من الحقائق أقلّ ما يُقَال عنها كارثية..

أولًا: الشركة التي تدير أعمال ماري منير (تالنت ميديا) التي مكتوب بالورق أن مالكها هاني العقبي وعادل صديق، لكن في الخفاء هي ستار لمجموعة من رجال الأعمال الذين تم القبض عليهم لاصطياد ضحاياهم من شباب جائع.

ثانيًا: لأن الجوع هو داء أي وطن قرّرُوا إنشاء جمعية الخير للخير لتكون ستارًا آخر لأعمالهم، لكنها كانت وسيلة للوصول لأكبر قدر من الفقراء يتم استغلالهم مقابل المال لأعمال مخالفة للقانون.

ثالثًا: عادل صديق وهاني العقبي هذان الشخصان كانا الأنبوب الرئيسي لتحريك كل شيء من خلاله، الأول كان رَجُلَ سيدة الأعمال

الشهيرة ليليان داود اعتمدَت عليه في كل خطواتها؛ فصار كالأخطبوط، أما الثاني فهو من صناعة عادل لاحتياجه لمن يعاونه بتلك المهمات.

رابعًا: سمير كامل وهند خضر كلاهما فوتوجرافر واستايلست، كانا دائمَي التردد على العائلات المشاهير، بالإضافة إلى أن سمير ابن السفير الراحل كامل عبد الباري؛ فكان مصدر ثقة لهم.

خامسًا: لأن مليون شك لا يقود لإدانة، فعندما التقيتُ هاشم من سنوات قررنا رسم خطة فشلَت بالبداية بزرعِه وسطهم هو ومنصور، لكن لكل واحد منهم مساحة يتحرك فيها، وعندما فشلَت تم اللجوء للخطة الثانية.. وهي الإعلان عن سفَرِ هاشم بعد تسريب جنسيّ فاضح، وأن يعمل منصور على إيقاع كل شخص منهم على حِدَة بحيل مختلفة.

المشهد السابع والثلاثون

بغرفة المستشفى يقف هاشم ليُقبّل زوجته وبنته وهي تضع ملابسهما بالحقيبة بعد أن أذِنَ الطبيب لهما بالخروج بعد تحسن صحتها.

فتقول والدة ميار التي كانت عند باب الغرفة:

- حمدًا لله على سلامتكم يا أولاد.

ميار بنبرة تعب:

- الله يسلمك يا ماما.. فترة صعبة و انتهت.

هاشم:

- الحمد الله، سأوصلكم لمنزل حماتي وأستَسْمحكم بأن أذهب لزيارة بابا وماما، ماما خرجت من المستشفى بالأمس.

ميار:

- أريد القدوم معك.

هاشم:

- سنذهب لهم جميعًا فور أن تشفي تمامًا، سأطمئنّ عليهما وأشتري لهما ما ينقصهم ثم سأعود إليكم.